رمادية اليوم التالي في مستقبل المنطقة والنظام العالمي الوليد

د. المحامي منير محمد طاهر الشواف

كل المراقبين السياسيين الإقليميين والدوليين والمحليين يتساءلون: متى تضع الحرب الأمريكية الإسرائيلية الإيرانية أوزارها؟، هذا السؤال المحير الذي أرهق الجميع.

- تعددت ((السيناريوهات)) التي التبس فيها الواقع مع الخيال والأوهام مع الحقائق، فمن قائل: إن إسرائيل ورطت بها الولايات المتحدة بقصد تدمير القدرات النووية والصاروخية لإيران إضافة إلى السحق النهائي لقدرات ((حزب اللات)) في لبنان بغاية تأمين حدودها الشمالية. ويكون اليوم التالي بالنسبة لإسرائيل هو تحقيق المراد مرحليًا، أما الواهمون المضبوعون و المروجون، فقد قالوا: لا ليس هذا فقط، إنما إسرائيل سيمتد احتلالها أو نفوذها من الفرات إلى النيل تمشيًا مع أسطورة اليهود التاريخية، وهذا يحصل بعد أن يتفكك شرق أوسط ((سايكس بيكو)) وينتج عن ذلك تجزئة المجزأ كما يقول غالبًا بعض الصحافيون التافهون، الذين لم يدرسوا التاريخ والواقع أن إسرائيل بعد أكثر من ثمانين سنة على الاحتلال لم تستطع أن تضبط الأمن في الضفة الغربية ولا أن تسيطر على غزة، ولو انها أحاطت نفسها بأسوار اسمنتية زاد ارتفاعها عن ستة أمتار، مع تواطؤ أنظمة معها، وخاصة نظام ياسر عرفات ومدرسته من أوباش المنظمات الفلسطينية العلمانية.
- أما السيناريوهات الأمريكية الخلبية الكاذبة، فقد ادعت أن حربها على إيران لمنعها نهائيًا من ترميم نظامها النووي التي زعمت أنها دمرته نهائيًا في حرب الأثني عشرة يومًا الفائتة، أما بالنسبة للنظام الصاروخي و أيدي إيران الإضافية في العالم العربي والعالم بشكل عام لم تكن تؤكد عليها، بل باتت تناور عليها إسرائيل أحيانًا بين شد وجذب، لأن الحقيقة والواقع يدل على أن قوة إيران النووية والصاروخية المزعومة لا تؤثر على أمن الولايات المتحدة القومي نظرًا لبعدها القاري، ومدى صواريخها في المنظور الحالي. ولو كان هذا ((السيناريو)) صحيحًا، فهو يؤثر عالميًا على دول الاتحاد الأوربي أكثر من تأثير مزعوم على أمن الولايات المتحدة الامريكية القومي. علمًا ان الأوربيين لا يكترثون بالتهديد الإيراني كما هو حال الشوشرة الأمريكية بهذا الخصوص والمستمرة منذ عشرين سنة عن الخطر الإيراني النووي. وأنفق المراقبون السياسيون كل هذه المدة وهم يحللون قوة التخصيب

وتفاوته بين ٣٠.٥٪ و ٩٠٪ مرورا بـ ٦٠٪ وكل ذلك تشويش من قبل الأمريكان على العالم وتهديداً لشركائهم الاوربيين، علماً أن النظام النووي الإيراني والصاروخي كان يجري تطويره على مرأى ومسمع استخبارات إسرائيل والولايات المتحدة والاتحاد الأوربي، كل هذه الأعوام، إذن لماذا الآن ينفجر الوضع العالمي؟ هنا تكمن أهمية السؤال.

- إن الظروف الملائمة لبروز مخطط الشرق الأوسط الأمريكي الواسع، بعد أن آن الأوان لتفكيك الشرق الأوسط القديم، بل شطبه من الخريطة ومن الواقع الجغرافي وبرز ذلك في تصريحات مبعوث الرئيس ((ترامب)) إلى سوريا بشكل خاص وإلى العالم العربي بشكل عام مستر ((توم براك)) بعد هروب الطاغية التافه ابن المقبور فيما يخص إنهاء مدة فعالية الشرق الأوسط القديم.
- لقد صرح مراراً وتكراراً منذ رفع العلم الأمريكي على منزل السفير في دمشق قوله ((إذا استمر الحكم في سوريا على هذه الوتيرة فسوف ننظم العالم – جميعًا – من هذا المكان)) ولقد تبع هذا التصريح الخطير، ما أدلى به على منصته أن الولايات المتحدة قد أخطأت في المائة سنة الماضية عندما ساعدت حكامًا دكتاتوريين واستبداديين في حكم دول الشرق الأوسط، وسكتت عن مخططات البريطانيين والفرنسيين.

أما الآن فستكون سياسة الولايات المتحدة ضد هذه الاتجاهات التي دعمت حكامًا عسكريين في الشرق الأوسط مسيَرون من قبل البعثات الأجنبية، ثم أضاف: ((واهم من يعتقد بإمكانية وجود حل سلمي في الشرق الأوسط))، وأن حدود دول المنطقة آيلة أيضًا إلى زوال، فالمنطقة عبارة عن قرى وقبائل وعشائر ودين، فقال المحاور: وإسرائيل أيضًا، قال: ((توم براك)) نعم بما فيها إسرائيل.

- ما تقدم يذكرنا بمشروع الفوضى الخلاقة التي طرحته ((كوندوليزا رايس)) وزيرة خارجية الرئيس ((بوش)) الابن، وقالت: إنها الوسيلة الوحيدة من منظور أمريكا لإعادة بناء الشرق الأوسط الواسع وازدهاره وتعني شرق أوسط ((سايكس بيكو)) إضافة إلى الجمهوريات الإسلامية السوفياتية الممتد من شرق العالم الإسلامي في حدود الصين إلى غربه في نواكشوط، وهذا سبق وذكره مستشار الأمن القومي ((زبغنيو بريجينسكي)) للرئيس ((كارتر)) الديمقراطي في كتابه (لعبة الشطرنج الكبرى) وأسماه بهلال الشرق الأوسط الإسلامي الواسع الدموي. وهذه ليست سياسة الجمهوريين، بل سياسة الديمقراطيين أيضا، وهذا يعني أنها سياسة أمريكية قومية وليست حزبية، ولقد عبَّر عنها الرئيس

الديمقراطي ((أوباما)) في خطبته بجامعتي القاهرة وأنقرة، وأسماها الشراكة الإسلامية الأمريكية ولم يذكر العرب والعروبة على الإطلاق .

- مما تقدم يصل المحلل العادي السياسي وليس المحترف، إلى أن ((اليوم التالي)) لهذه الحرب من منظور أمريكي هو الوصول إلى ((شرق أوسط إسلامي واسع)) حدوده الصين وروسيا والاتحاد الأوربي، هذا الشرق الأوسط يساعد الولايات المتحدة في تطبيع علاقاتها مع الصين وربما مشاركتها، وفي تحجيم النفوذ الروسي والاتحاد الأوربي، وأرى أن نظامًا عالميًا جديدًا سينبثق بانتهاء هذه الحرب طالت أم قصرت و لن يكون اليوم التالي من منظور أمريكي إلا بنظام عالمي يساعد في استمرار بقاء أمريكا قوة عالمية أولى، ومع قوى مساندة مثل: ((الصين و الشرق الأوسط الإسلامي الواسع والسني حصراً))، مع أنظمة رفاهية وتقدم تكنولوجي لكن غير مشاركة في السياسة العالمية بشكل فعال في روسيا والاتحاد الأوربي، وسيكون من شأن هذا النظام شطب النظام العالمي السابق بكامل مؤسساته وهيئاته، خاصة الأمم المتحدة ومجلس الأمن والمصارف الدولية، ويكون نظامًا عالميًا أقرب إلى العدل والعدالة كما يرونه ويستقر فيه العالم إلى أمد طويل بعد أن استحالت الحروب الكونية بأسلحة تقليدية أو نووية هيدروجينية أو ارتجاجية أو بإيولوجية، وتتخلص فيه أمريكا من عبء ديونها وقروضها البالغة ٣٨ ترليون دولار مع تراكم سنوي قدره ((١.٥)) ترليون دولار، ولا خلاص إلا بالعودة إلى نظام شبيه بنظام ((برايتون وودز)) لعام ١٩٤٥، إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية أي ما قبل ١٥-٨-١٩٧١ عندما أقدم الرئيس الأمريكي نيكسون على تعليق هذه الاتفاقية، وأصبح الدولار عملة سائبة غير خاضعة للمماثل الذهبي الذي فرض على أمريكا مقابل تسويق النفط كعملة وحيدة بالدولار على أن تقبل بأن تدفع عن كل /٣٣/ دولار ورقي أونصة ذهبية واحدة .

رأيي يحتمل الخطأ والصواب لكن له دلالاته، والعبرة في مستقبل الوقائع وليس للتنظير لأن تجدد الوقائع يقتضي تجدد الحلول .